

صورة أخرى في القدر

لأهل بنو إسرائيل واليهود

للأستاذ محمد عزة دروزة

- ٣ -

وغابرههم . وقد شرحنا الصورة الحاضرة في سلسلة المقالات الأولى .

٢ - وفي سورة يونس هذه الآية : (ولقد بوأنا بني إسرائيل سموا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ٩٣) .

وفي الآية صورة لما كان بينهم من اختلاف فيما آتاهم الله من علم وأنزل لهم من كتب .

٣ - وفي سورة هود هذه الآية (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب ١١٠) .

وفي الآية صورة من الصور السابقة مع زيادة هامة وهي تقرير كونهم مع اختلافهم في كتاب الله في شك مريب

١ - وفي سورة التوبة هذه الآيات (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ٣١ و ٣٢) .
وفيها صورة لعقيدتهم ببنة العزير لله وما كان من شدة تأثير أحبارهم عليهم وشدة طاعتهم لهم حتى كأنهم كانوا لهم أرباب من دون الله يطيعونهم أكثر من طاعتهم لله .
ولقد أعقب هاتين الآيتين آيات فيها صورة لما كان من حاضرههم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومحاولاتهم الأئمة في اطفاء نور الله بأفواههم وأكلهم أموال الناس بالباطل وصددهم عن سبيل الله . بحيث ربطت هذه الآيات بين حاضرههم

- ١٢ -

فلسطين وقد قضى عليها الآشوريون وسبوا كثيرا من أهلها بعد أن قضاوا على جيشها وأسكنوا محلهم جماعات من بلادهم هم الذين عرفوا بالسامريين نسبة الى بلاد السامرة التي كانت إحدى مدنها عاصمة لهذه المملكة . والمرجح كذلك أن المرة الثانية هي غزو الكلدانيين البابليين بقيادة نبوخذ نصر لمملكتهم الثانية المسماة يهوذا والتي كان عاصمتها (بيت المقدس) حيث دمروا المدينة ودمروا المعبد الذي سمي في الآيات بالمسجد وسحقوا جيشها وسبوا خلقا كثيرا من أهلها الى بابل .

٦ - وفي سورة طه صور كثيرة عنهم منها ما هو تكرر لما في سور سابقة . وفيها إنذار رباني لبني إسرائيل بعدم الطغيان لئلا يحل عليهم غضب الله . وخبر مسارعة بني إسرائيل الى صنع عجل وعبادته حالما خرجوا من مصر الى سيناء وذهب موسى الى مناجاة ربه وعدم استماعهم لنصيحة هرون . وهذه هي الآيات :

١ - **كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطفوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحطل عليه غضبي فقد هوى . وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى . ٨١ - ٨٢**

٢ - **قال إنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري . فرجع موسى الى قومه غضبان أسفاً قال**

من أمره ومعظم سورة يوسف يدور على قصة يوسف واخوته وخداعهم لأبيهم ومكرهم بأخيهم وحقدهم عليه وغدرهم به ويعقوب وأولاده هم أجداد بني إسرائيل فيكون لما في هذه السورة من صور عديدة مقامها في هذه السلسلة كما هو المتبادر :

٥ - وفي سورة الاسراء هذه الآيات

(**وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً . ثم رددنا لكم الكرة عليهم فأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتيهوا . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً . . (٤ - ٨)**

وفي الآيات صفحة من تاريخ بني إسرائيل وتقلب أمورهم وما كان من تسليط الله عليهم بسبب ما كانوا يرتكبون فيه من فساد وانحراف ويقفونه من مواقف العتو والتكبر والتجبر . والراجع ان المرة الأولى

هي ما كان غزو الآشوريين للبلاد التي كان لليهود فيها مملكة إسرائيل والتي كانت تشمل معظم أرض

يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً
أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل
عليكم غضب ربكم فأخلفتم موعدني .
قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكننا
حملنا أوزاراً من زينة القوم فقدفناها
فكذلك ألقى السامري ، فأخرج لهم
عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا
إلهكم وإله موسى فنسي . أفلا يرون
ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم
ضراً ولا نفعاً . ولقد قال لهم هرون
من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن
ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا
أمري . قالوا لن نبرح عليه عاكفين
حتى يرجع إلينا موسى . قال
يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا
ألا تتبعني أفقصيت أمري . قال
يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي
إني خشيت أن تقول فرقت بين بني
اسرائيل ولم ترقب قولي . . .

٨٥ - ٩٤

٧ - وفي سورة النمل هذه الآية
(إن هذا القرآن يقص على بني
اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون)

- ٧٦ -

وفيها إشارة الى ما كان من
اختلاف بني اسرائيل في شؤون
شراعتهم وكتبهم . وهو ما أشارت
إليه آيات أخرى في سور أخرى
أوردنا بعضها قبل .

٨ - وفي سورة الأحزاب هذه الآية
(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
آذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان
عند الله وجيهاً . . .) ٦٩

وفيها إشارة الى موقف مؤذ وقفه
بنو اسرائيل من رسولهم موسى
عليه السلام . وقد روى أنهم
اتهموه بالبرص فخلع يوماً ثيابه
فأطارها الهواء حتى رأى بنو اسرائيل
جسده نظيفاً بريئاً من البرص .

٩ - وفي سورة الصافات هذه الآيات
(وإن إلياس لمن المرسلين . إذ قال
لقومه ألا تتقون . أتدعون بعلاً
وتذرون أحسن الخالقين . الله ربكم
ورب آبائكم الأولين ، فكذبوه
فإنهم لمحضرون . . .) ١٢٣ - ١٢٧
والياس هو ايليا النبي المذكور
في أسفار بني اسرائيل المتداولة .
وكان بنوا اسرائيل قد ارتكسوا في
عبادة البعل اله الكنعانيين والفينيقيين .
حتى لقد استشرت هذه العبادة
وصار عدد أنبياء البعل الذين
يقومون بسدنته مئات .

وبلغ ذلك ذروته في عهد أحاب
ملك اسرائيل الذي كان متزوجاً بنت
لملك صور الذي كان البعل إلهه .
وقد ظلت بنته على عبادتها ثم اغوت
زوجها وأغوت بني اسرائيل معه .
فأرسل الله ايليا النبي لانهذاره
والتنديد به فطارده هو وزوجته
ففر منهما . وسلط الله عليه
ملك الآراميين في سورية ففزا بلاده
واستولى على كثير من أنحائها

١٠ - وفي سورة الشورى هذه الآية
(وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم
العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت
من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم

وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم
لفي شك منه مريب (٢٤) .

وقد جاءت بعد ذلك آية
فيها ايدان رباني بشرع الله لأنبيائه
نوح و ابراهيم وموسى وعيسى
ومحمد عليهم السلام الدين وأمرهم
إيأهم بأن لا يتفرقوا فيه
(شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحاً والذي أوحينا إليك وما
وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .
وبنوا اسرائيل فريق من المقصودين
في الآيه : فيكون فيها توكيد
للصورة التي تكررت في الآيات
الأخرى من الاختلاف والتفرق
والشك الكبير في ما في أيديهم من
كتب .

١١ - وفي سورة الزخرف هذه الآيات
(ولما جاء عيسى بالبينات قال قد
جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض
الذي تختلفون فيه فاتقوا الله
وأطيعون . إن الله هو ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم .
فاختلف الأحزاب من بينهم فويل
للذين ظلموا من عذاب يوم أليم)
٦٤ و ٦٥

وفياها اشارة الى رسالة عيسى
عليه السلام الى بني اسرائيل
وموقفهم الخلافي والجودي منها .

١٢ - وفي سورة الدخان هذه الآيات
(ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب
المهين . من فرعون إنه كان عالياً
من السرفين . ولقد اخترناهم على
علم على العالمين . وآتيناهم من
الآيات ما فيه بلاء مبين) .

٣١ - ٣٣

وليس في الآيات ذكر لما كان من
نتيجة اختيار الله وبلأهم . بحيث
تبدو الآيات وكأنها ثناء عليهم بدون
تثريب . غير ما في الآيات الأخرى
من انحرافاتهم واختلافاتهم وبغيتهم
فيما بينهم هو بمثابة بيان لنتيجة
ذلك الاختبار والبلاء من جهة ونسخ
لما ورد في القرآن من آيات فيها
تنويه بدون تثريب من جهة أخرى
بحيث يمكن ان يقال ان حكمة
التنزيل أن يأتي هذا وذاك بالاسلوب
الذي جاء فيه . والقرآن متكامل
يتم بعضه بعضاً ويفسر بعضه
بعضاً .

١٣ - وفي سورة الجاثية هذه الآيات
(ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب
والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على العالمين . وآتيناهم
بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من
بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن
ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون ٢٦ و ٢٧) .

وفي الآيات تكرر لذكر المزية السابقة مع اشارة الى ما كان من اختلافهم وبغيتهم على بعضهم حيث يتضمن ذلك نسخ لانهم فعلوا ما افقدهم ايها .

١٣ - وفي سورة الصف هذه الآية (**واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ٥**) .
وفي الآية صورة لما كان من جراءة بني اسرائيل على رسولهم موسى وايقاع الأذى عليه وما ارتكسوا فيه من زيغ وما كان من نكال الله لهم بإزاعة قلوبهم واندماعهم بالفسق .

١٤ - وفي سورة الجمعة هذه الآيات (**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل للقوم الذين كتبوا آيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين . قل يا ايها الذين هادوا إن زعمتم انكم اولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين . قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ٥ - ٨) .**

وفيها صورة لما كان من مناقضتهم لكتب الله وتكذيبهم بآياته . وتشبيهم بسبب ذلك بالحمار الذي يحمل

الكتب ولا يفهم ما فيها . ولقد كانوا يزعمون أنهم أولياء الله وذو الحظوة عنده من دون الناس فتحدثهم الآيات بأن يتمنوا الموت لينالوا تمام الحظوة وأبديتها عند الله بعد الموت . فيها تقرير بأنهم لن يفعلوا لانهم يعرفون ما كسبوه من آثام ويخافون سوء المصير . ولقد جاء قبل هذه الآيات آيات فيها تقرير بأن الله بعث في الأميين رسولا منهم وأنه هو صاحب الفضل العظيم . وقد روى أن اليهود لما وقفوا في المدينة موقف الجحود قالوا إن الله قد حصر النبوة في بني اسرائيل وأنكروا نبوة النبي الأمي أي العربي . مع أنهم كانوا يعرفون أن نبوته حق وأنه مكتوب عندهم في التوراة على ما جاء في آيات أخرى منها آية البقرة هذه (**ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ٨٠**) .

وآية الأعراف هذه (**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ١٥٧**) .

فكان ذلك مما اقتضت حكمة التنزيل تشبيهم بالحمار الذي يحمل الأسفار .

والحمد لله رب العالمين .